تقارب مطبوعة «نار» تفاعل الجسد مع بيئته. وتُوسِّع فكرة «الجسد» إلى ما وراء اللحم. فالجسد يُفهَم كمشاع تتضح خصائصه المحددة من خلال عمليات استقلابية. والجسد سطح بينيٌّ تمر عليه المواد وتُتضمَّن وتحفّز تأثيرات وتُترك آثار. وإذا نُظِر إلى كوكب الأرض كذلك، يمكن أن يُقارَب كجسد كامل ــ تقوده الحرارة ويتضمن مواد ويولّد تفاعلات. ويمكن لهذا أن يعني أننا لسنا أوعية منفصلة أو مستقلة، بل نُظُمُ طاقةٍ تصل، على امتداد حيواتنا، بين العمليات الكونية الكلية لكوكبنا. نحن الحُبيبات الخيطية (mitochondria) لكوكب الأرض، العنصر المشارك الأكثر فاعلية في البنية الفوقية الاستقلابية الأكبر للكوكب. هذا النوع من التفكير يثير أسئلة حول التكافل ــ الحضور المتزامن لكائنات مختلفة ــ باعتبارها مسألة من مسائل العمل السياسي. كيف نهضم ونضمّن الفارق ونجعله جزءًا منّا؟ كيف نصل إلى تجسيد التعددية؟ تتطلب أوقات الأزمة ليس فقط التحمل، بل الابتكار والتساؤل حول المعنى المحتمل للجسد أو للوعي أو حتى لـ«الإنسان».

إن النار هي في طرق كثيرة قصة الحضارة. هي هدية بروميثيوس إلى البشرية، والبشر هم الكائن الذي يفتقر إلى أي خصيصة خاصة به، فخصيصته تكمن في قدرته على تملّك خصائص العالم من حوله ويستخدمها باعتبارها له ــ ليصنع أدوات ويخلق أشياء ويبني بيئات ويوسّع جسده. فالنار إذًا لا تغذي عمليات الحياة فحسب ــ تضمن حرارتها في مجرد الكمية الصحيحة حيوية الكوكب ــ بل تعمل أيضًا وسيطًا بين البشر وما يحيط بهم. والنار هي ناقل، لغة بلازمية تتحدث عن خلق العوالم وتدميرها. يفكّر **أتشيل مبمبي** في هذا الأمر في نصه «العالم الصفري: المواد والآلة»، حيث تُوضَع أولًا وأخيرًا قواعد اقتصادنا وشروطه. لا، ليس «الرأسمالية» بحد ذاتها، بل اهتمام أكبر متجاوز للتاريخ موجه إلى علاقات التبادل والاستهلاك والإنتاج. ويبقى الصيد والجمع، وهو تقسيم غابر بين نمطين من أنماط العمل، بل طريقتين لربط النفس بالآخر، الثنائية الكامنة تحت كل الاقتصادات. ففي هذا النظام ــ من قبائل العصر الحجري الحديث إلى رواد الأعمال المعولَمين اليوم، ومن الإنفاق المسرف إلى القطاع المالي المعاصر القائم على المضاربة ــ يؤدي التدمير دورًا حاسمًا في العملية الاقتصادية. فالتدمير هو ما يعيق الشروط الضرورية لكل من التكاثر الاجتماعي والبيولوجي. وهي للمفارقة قوة خلاقة. تعتمد المقالة على العمل الفوتوغرافي لسامي بالوجي الذي تُظهِر صوره الرائعة لقفار الاستخراج وبورتريهاته عن «المعذبين في الأرض» ودراساته عن البنى التحتية في اللامكان وفي كل مكان، للعيان في شكل محترف الهيكل الخارجي الصدئ للآلة العالمية التي تشغل العملية المستمرة للتراكم البدائي الخاصة برأس المال. ولا يرى مبمبي هذه الصور صورًا لـ«نهاية العالم» بل كتبيانٍ للمفهوم الذي يشير إليه باسم «العالم الصفري» ــ عالمٌ التحول إلى آلة، عالم حولت فيه النار المواد وخلقت روابط كيميائية وجزيئية جديدة بين اللحم والنفط والمعدن، عالم غريب ينبثق عبر التدمير الخلاق. كيف يمكن لهذا التحول إلى المجهول أن يُعالَج؟ كيف يمكن للفن أن يلقي نظرة ويعطي أذنًا مصغية لأمر يتجاوزه ويتجاوز كوكب الأرض حتى؟ أخذت **لارا خالدي** دور الفن في التوسط مع فنائية البشر وصاغت سلسلة من ثلاث رسائل موجهة إلى فنانين أفراد في مقالتها «العين الحاسدة (عنوان مؤقت) ثلاث دعوات إلى معرض ــ المسودة الأولى». وإذ يمزج صدق مراسلاتها وهشاشتها بين التجربة الشخصية والطرائف والإشاعات والتساؤلات والشكوك، يكشفان طرق وجود الإبداع في «محادثة لامتناهية» مع الآخر. ما هي العين الحاسدة إن لم تكن لمحة للآخر الذي يتجاوز تقديره حدود الجسد، فيجتاح جسدك ويذكّرك باحتمالية الموت؟ إذا حاولت الحضارة الغربية منذ عصر التنوير إلغاء النظرة المتقلبة إلى الآخر، هل تستطيع «العين الحاسدة» إذًا أن تكون ممارسة للمقاومة الخاصة بالشعوب الأصلية أو إقرارًا بمساحة خارجية أو قوة ملزمة تثير، سحريًا، احتمالًا آخر بسكنى العالم؟ إذ تربط هذه الأفكار بالسياق الأوسع للمنطقة، حيث انفجر التقليد وتشوه وانهار وأصبح غير قابل للتعرف إليه، خصوصًا في فلسطين، حيث يسعى الجهاز السياسي إلى العثور على نفسه في شكل ملح، تفكر خالدي في التردد وكذلك الحرية الجذرية اللذين تقترحهما كينونة الشعوب البدائية كحالة من حالات انعدام الدولة ــ أي كجسد خطا متجاوزًا حدوده الاصطناعية، فاحتل مكانًا خارجيًا مسكونًا عنه. وتصر **فرانسواز ڤيرجي** في مقالتها «في عمق نار الرأسمالية: العبودية والاستعمار والطبيعة الرخيصة»، على أن أي تفحّص للجسد يجب أن

يعود إلى هذا الجسد المعطى صفة عنصرية والمستعبَد والمستعمَر الذي حفرت عليه الرأسمالية الاسترقاق. وفي حوار مع الإيكولوجيا النقدية لجيسون دبليو مور، التي تقدم رأس المال كقوة تبرز في الوقت نفسه من «شبكة الحياة» وتؤثر فيها، حيث الطبيعة قالب لطالما استُنفِد بالاستملاك الاستعماري، تنسج فيرغيس دروسًا سياسية ونظرية من مشاركتها الخاصة بالنضالات الساعية إلى تصفية الاستعمار في جزيرة ريونيون. وتقدم مقالتها نقاشات ومفاوضات راهنة حول التغير المناخي، من ضمن عملية تاريخية أكبر، يمكن للمرء أن يسميها «عصر الرأسمالية»، حيث يُوضَع على المحك تآكل الحقوق والبروز الشرير كل يوم للجانب العنصري، وأشكال جديدة من الاستعمار، وأشكال جديدة من الاستملاك عند مستوى عالمي مُسرَّع. والمنظور الجسدي المقدم هنا، هو منظور يرى الأجساد ــ المفهومة باعتبارها «طبيعة رخيصة» ومصدرًا ينبغي استغلاله ــ الحطب الذي يغذي أفران نظام عالمي، حيث تُستخرَج القيمة سريعة الزوال، بهدف الحفاظ على نظام يقف على حافة الاشتعال التلقائي. كيف يمكننا أن نواجه السلطة؟ كيف نعتنق خطورة موقفنا؟ أن نقاتل بغضب، أن نشتعل، أن تسكرنا الحرارة، أن نحترق، أن نقدم أنفسنا على المذبح، أن نشتهي نهاية ــ تشكل لحظات أحلام اليقظة هذه الأسس الخطابية لمقالة **إليزابيث بوفينللي**، «نيران، ضباب، رياح». البنية السردية الجوهرية هي تاريخ شخصي ذاتي التفكير يتنقل من رمي المبيدات الحشرية المسرطنة في شريفبورت بولاية لويزيانا، إلى مجموعات الألعاب الكيميائية المخصصة للأطفال، إلى العنصرية البيئية التي دمرت بوفالو ونيويورك وديترويت (ولاية ميشيغان)، وأخيرًا إلى أراضي «الدريمينغ» (الحلم) في شمال غرب أستراليا، حيث يفرض الخيال الكربوني سيادة سامة على الجسد الكامل للأرض وعلى «الكارابينغ» (المد البحري) ويظهر في شكل انبثاقات جسدية على لحمهما. حتى السماء تبدو على وشك الاشتعال، ويبدو حملها من الالتهابات ثقيلًا ــ هل علينا أن نستعد للالتماع الضوئي الأخير؟ النار هي حافز رأس المال الكيميائي؛ هي تحرق الأرض، مطلقة عملية تالية لمنح صفات بشرية. هل سيختنق البشر بالمادة نفسها التي تحتاج خلاياهم إليها للتنفس؟ أم هل ستضع سيناريوات يوم القيامة التي يعتبرها النوع البشري حاليًا عمله الفني كامل الشروط اللازمة لينهض من الرماد نمط حياة تاليًا للانقراض؟ تُبذَر البذور السامة لمرحلة تالية للحياة في قلب جسد السكان الأصليين، وفي الجسد المثلي جنسيًا، وفي الجسد الأنثوي، وفي الجسد الفقير، وفي الجسد الملون ــ كل هذه الجسديات غير البيضاء وغير المذكّرة وغير المغايرة جنسيًا. بيد أن جميع الذين يشارفون على الاختفاء، سيكشفون حضور كائنات تحمل، من منظور المستقبل، علاقة متوارثة بما سُمِّي يومًا «بشرًا» والذي هو مجرد أثر لذكاء مقبل. يبدو أن تقليدًا فكريًا آخر بات ملحًا هنا، تقليد يمضي إلى أبعد من تثمين ما وراء البشرية أو بث الحياة في المادية ــ تقليد من اللامعرفة الأرضية، ربما يُؤلَّف من حِكَمٍ ضائعة وغامضة تسبق لاوعينا الحضاري. الغموض الحيوي لكوكب الأرض، الذي تولّد خصوصياته العناصرية تكشفًا لتقنيات، هو محور مقالة **إليزابيث فون سامسوناو**، «النار ــ العنصر، النوعية، الطاقة، الذات». في محاولة لتحويل رواية «الثقافة» وبروزها باعتبارها مدفوعة بالتقنيات النارية، يُنظَر إلى تاريخ الحضارة البشرية باعتبارها تكشفًا لمنهجيات تتعقد في شكل مستمر تستهدف الاستفادة من قوة النار، لكأنه مدفوع في شكل لاواعٍ بحنين كوني تالٍ لصدمة إلى الحرارة الخلاقة العظمى للتشكيل الأولي للكوكب ككرة مشتعلة من الحجارة المصهورة. في الواقع، إن التفكير بكوكب الأرض يعني إبطال التفكير بكوكب الأرض، ومقاربة الكوكب باعتباره علاقة غير معروفة بين السطح والعمق، حيث وجودنا شبه الحربي على جلده الهش يجهل تمامًا ما يوجد في عمق أعماق قلبه البركاني. يسجل البشر، بوصفهم تجليات مرتبطة بالأرض لتنقية كونية، القيم الداخلية للكوكب ــ ينم انزياحنا الحراري عن التقاط تكنولوجي للطاقة الشمسية الحرة التي تعوض عن تبرّد قشرة كوكب الأرض. ومدانا الحراري، الذي يستنكره كثر باعتباره الأمر الذي سيقضي علينا وعلى عالمنا في نهاية المطاف، هو تعبير فاعل عن كوكب الأرض نفسه ورغبته في الدفء والاتحاد مع الشمس وارتقاؤه إلى الموت الحراري للكون. هل «الاحترار العالمي» إذًا تعبير تقني عن الذاتية الفاعلة للكوكب حيث تُعبَّأ الحياة كأداة لضمان الوجود المستمر لأرض لن يُعبَّر عن رغباتها الحقيقية أبدًا بلغة يمكن أن يفهمها البشر؟

أشكان سپهوند